عبر العصور . وهم ايضاً شعب متوحش خطر كان خلال السنوات الأخيرة يهدد موسكو على الدوام ولكنه ما لبث ان اصبح اكثر لطفاً ولياناً في المعاملة مع السنين . ومع انهم كانوا اعظم فاتحي العالم بعد الإسكندر المكدوني فإنهم اصبحوا غير قادرين على الاحتفاظ بضفاف الفولغا الغابية . في القرن السادس عشر كانوا لا يزالون قادرين على الصمود في ميادين القتال ولكنهم ما لبثوا كلهم ان اصبحوا بعد ثلاثة قرون من ذلك تجاراً صغاراً وباعة ذوي ثياب رثة دون اية بارقة من طموح سياسي . وفي عام ١٥٥١ كان رأي نصف سكان قازان على الأقل ان يستسلموا لإيڤان ، « فهو عاهل كريم وسنعيش في ظله في بحبوحة من العيش » . وكان يوجد من بينهم عدد من الفارين اللاجئين الى إيڤان وعدد من الخونة نذكر منهم الشيخ علي الذي كان اداة في يد القيصر . فبعد رحيل صوغونبيكا دبر الشيخ علي هذا مذبحة كبيرة للتتر حيث نظم مأدبة كبيرة دعا إليها كبار الوجهاء في قازان ثم قام بذبحهم بمساعدة عصابة من القتلة ، وكان عدد من قضوا نحبهم في هذه المصيدة سبعين شخصاً .

وعندما وصل خبر ذلك الى إيڤان الرهيب ، ودون ان يخفي احتقاره لهذا العمل ، ارسل ارداتشيف الى قازان ليقول للشيخ علي ان موسكو كانت تعرف تماماً ان سكان قازان البائسين كانوا عاجزين عن حكم انفسهم وان القيصر ينوي القدوم عما قريب للاستيلاء على المدينة ويمنحها حمايته الجليلة كما يمنحها للأمير الشيخ . ولكن عندما دعي الشيخ لاعتناق المسيحية رفض ذلك بتعال وكبرياء . والواقع انه كان من الصعب التعامل معه فدعي للقدوم الى موسكو للتفاهم . وعين القيصر الأمير ميكولينسكي حاكماً على قازان ، وقدم السكان للقائه عند ضفاف الفولغا وقدموا له الاحترام والتبجيل . وقضى ميكولينسكي وارداتشيف معظم وقتهما في سيفازهسك وقلما سمح لهما بدخول حصن قازان بينما لم يكن في المدينة نفسها إلا حفنة من الجنود الروس . وكان السكان يماطلون مع اظهارهم القبول بميكولينسكي حاكماً عليهم ، ولكنهم